الاتجاه التأريخي والنقد الاجتماعي

د . لطيف محمود محمد
كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة الأنبار

د. فؤاد مطلب مخلف
كلية الاداب / جامعة الانبار

2010 م 1432 هـ

يعد حقل الدراسات النقدية الحديثة حقلاً إجرائياً غنياً بالمفاهيم المتنوعة والمقولات الشائكة . وإذا كانت المرتكزات النظرية لمناهج ما بعد الحداثة (التأويل ، وجمالية التلقي ، والسيميائية ، والتفكيكية) تتجلى للباحث على نحو ضبابي ومعقد فذلك أمر طبيعي وحتمي ، وعلة ذلك أنها استمدت أسسها من تصورات فلسفية وذهنية وقامت على متون افتراضية تتمثل – كما تقول بشرى موسى صالح – في صياغات تجريدية تسبح في فضاءات مثالية [1] .

وإذا كان تعقد الدرس النقدي لمناهج ما بعد الحداثة أمراً مسلماً به ، فان من الغرابة بمكان أن يجد الباحث ما يشبه هذا الأمر في اتجاهين نقديين تقليديين قد ابتلعتهما الذاكرةُ التخصصية ولفظهما الوعيُ النقدي الحديث ، ونعني بهما النقد الاجتماعي وما يسمى بالمنهج التأريخي .

على الرغم من أن المتخصصين في النقد الأدبي يقفون باطمئنان في أثناء تعاطيهم مع المناهج السياقية (تأريخية واجتماعية ونفسية) غير أن هذا الاطمئنان قد يضعف فيما لو انتقل الخطاب التنظيري من السطح الى العمق ، لغرض اقتناص الأصول المعرفية لكلا المنهجين التأريخي والاجتماعي . فثمة تشاكل كبير فيما بين المنهجين ، وهذا ما أشار إليه أكثر من ناقد وتحسس به أكثر من باحث . يقول الناقد صلاح فضل عن هذين المنهجين ((نجد من العسير في الثقافة العربية – إلى درجة كبيرة – أن نفصل بين التوجهين ، لأن الحدود متداخلة بين المنهجين))[2] .

ان قضية التدخل الحاصل فيما بين المنهجين التأريخي والاجتماعي في مجال النقد الأدبي لا يثير استغراب ذوي الاختصاص في النقد ، ذلك أن هذين المقومين متداخلان في مجالهما كعلمين مهمين من العلوم الإنسانية , وهذا ما أشار إليه بعض الباحثين العرب ، يقول الناقد المسدي : إن الثقافة العربية ((تشكو في غالب الاحيان أوليات التمييز بين علم التأريخ وعلم الاناسة وعلم الاجتماع))[3] . إذا كان بعض نقادنا العرب ومنهم المسدي وصلاح فضل يطرحون إشكالية التداخل فيما بين التوجهين ويعتقدون أن هذا التداخل والخلط إنما يعودان إلى قصور في التصور الثقافي العربي إزاء هذين التوجهين ، فإننا نعتقد أن مثول هذا الخلط أمر لايمكن إقصاؤه أو إنكاره ، وسبب ذلك أن علمي التأريخ والاجتماع يعدان بمثابة طرفين يستعين أحدهما بالآخر ويتكيء الأول منهما على الثـاني ، وهذا ما يؤكـده أحد

---

(1) ينظر نظرية التلقي أصول وتطبيقات : بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي – المغرب ، ط 1 ، 2001 ، 27
(2) في النقد الأدبي : د . صلاح فضل ، اتحاد الكتاب العرب –دمشق ، 2007 ، 23
(3) الأدب وخطاب النقد : د . عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة –بيروت ، ط 1 ، 2004 ، 55

الباحثين الغربيين بقوله : ((فليس من علم اجتماعي يمكن أن يفترض أنه يتجاوز التأريخ))[4] .

يبدو أن هذا الأمر حقيقة منهجية لا جدوى من التشكيك فيه ، ذلك أن حقل الدراسات التأريخية هو الذي أفرز الدراسات المتخصصة في علم الاجتماع . بعبارة أخرى إن ولادة علم الاجتماع ما كانت لتنبثق كأحد العلوم الإنسانية البارزة لولا الدراسات التأريخية ، لذلك يقول هذا الباحث الغربي نفسه ((إن التأريخ هو الساق التي تقف عليها الدراسة الاجتماعية)) [5] .

إذا كان أمر الالتصاق فيما بين علمي التأريخ والاجتماع والتمازج الواضح بينهما قد أربك الباحثين المتخصصين في هذين العلمين ، فانه من الأجدر أن يربك هذا الأمرُ المتخصصين في النقد الأدبي ويضعف من قدرتهم على فك الارتباط الماثل في المكونين النظريين التأريخي والاجتماعي . إن إشكالية التمازج الحاصلة بين هذين العلمين قد انعكست بكل تجلياتها في الخطاب النقدي الأدبي ، فإذا كان علم الاجتماع استمد مقوماته من علم التأريخ ، فان المنهج الاجتماعي في النقد انبثق ((من حضن المنهج التأريخي ، وتولّد عنه ، واستقى منطلقاته الأولى منه)) [6] .

ما قلناه حتى هذه اللحظة لايشكل محوراً جديداً في الممارسة النقدية المعاصرة ، ولايعد مفصلاً رئيساً يستمد منه هذا البحث شرعيته . فغاية هذا البحث هو استغرابنا من أن أحداً ممن تحسس بهذا الخلط لم يتهيأ لوضع مقال أو دراسة تكشف عن هذا الارتباك البيّن بين منهجين نقديين استفرغ النقدُ الحديث ما لديه من تنظير عنهما ، ومع ذلك تركها سائبة تفتقد إلى أبرز مقومات المنهجية والاختبار الأكاديمي المنظم ، لاسيما أن النقد الأدبي الحديث يستهجن كثيراً المقولات العامة والمباديء غير المعتمدة على أسس معرفية خالصة . ويحاول في كل ممارساته أن يرتب ما اختلط من أوراق الخطاب النقدي ، ويضع مصطلحات دقيقة وعلمية لكل تصور نقدي ، حتى أصبح لدينا فائض اصطلاحي ثم معاجم نقدية لهذه المصلحات والمفاهيم .

إن التعاطي مع موضوعة التشاكل بين المنهجين لا ينبغي أن يوسم بميسم البساطة والمرور الخاطف ، فالإشكالية واضحة والالتباس يلقي بظلاله على الباحثين في الأدب والمهتمين بالنقد . والحديث عن هذه الإشكالية صار حديثاً ملحاً وضرورياً لكون الارتباك النقدي قد تمثل على المستويين التنظيري والتطبيقي . فعلى المستوى التنظيري مثلاً يتردَّد كثيرٌ من الباحثين في مكانة الناقد الفرنسي هيبوليت تين ، فغالباً ما يوضع هذا الاسم كمنظر بارز للمنهج التأريخي ، ويوضع تارة أخرى كمنظر

---

(4) الخيال السوسيولوجي : سي . رايت ميلز ، ترجمة د . صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد ، ط1 ، 1987 ، 211

(5) الخيال السوسيولوجي : 207

(6) في النقد الأدبي : 27

رئيس للمنهج الاجتماعي ، وهذا ما يُلفت الانتباه ويُشعر القاريء بارتباك تنظيري واضح . فالباحث ماهر حسن فهمي على سبيل المثال يضع تين ضمن منظري المنهج التأريخي[7] فيما يضعه الناقد علي جواد الطاهر ضمن مؤسسي المنهج

الاجتماعي [8] ، ويفعل مثلَ هذا كثيرٌ من الباحثين ، إذ لم يكن الخلط قائماً على شخصية تين أو سانت بيف ، وإنما شمل بعض النقاد العرب . إن أحد الباحثين يضع محمد مندور واسماعيل أدهم ضمن أعلام المنهج التأريخي [9] ، فيما يضمُّ باحثٌ آخرُ هذين الناقدين إلى قائمة أبرز أعلام المنهج الاجتماعي[10] . لسنا أول من تنبه إلى هذا الأمر فقد سبقنا إليه الباحث مرشد الزبيدي في أثناء دراسته عن المناهج النقدية . إن تحسس الزبيدي بهذه الإشكالية القائمة هو الذي دفعه إلى جمع المنهجين ليتحدث عنهما ضمن إطار النقد السياقي تاركاً المنهج النفسي في مبحث خاص [11] .

أما على المستوى التطبيقي فإننا نجد هذا جلياً أيضاً وهو أمر لاغرابة فيه ، ذلك أن اختلاط حدود منهج نقدي مع منهج آخر مشابه له يقود الناقدَ حتماً إلى اختلاط في الإجراءات التحليلية والمنطلقات النقدية . يقول أحد الباحثين العرب المعاصرين وهو أحمد درويش في أثناء حديثه عن المناهج السياقية ((لكن التطبيقات العملية لبعض هذه المناهج أثبتت أن خيط التوازن قد يفلت من يد الناقد أحيانا))[12]. وربما هذا الأمر مما لاسبيل إلى تفاديه إذا أدركنا أن المناهج السياقية ولاسيما المنهجان التأريخي والاجتماعي تستند إلى أسس معرفية متقاربة ومقومات نقدية متداخلة ، مما يخلق هذا توازناً دقيقاً فيما بينهما ، هذا التوازن الذي يتعيَّن على الناقد الحفاظ عليه وأخذ الحيطة والحذر من الدخول في مناطق ليست ملكه ، فحدوث مثل هذا الأمر سيعيق الناقد في تحركاته الإجرائية ويعرّضها للتخبط والتعثر .

ولكن من أين تأتي هذه القدرة في الحفاظ على هذا التوازن إذا كانت هذه المرتكزات النظرية غائبة وليس لها حضور في المدونة النقدية . يقول صلاح فضل : ((إن هناك قدراً من التداخل بين المناهج المختلفة ، لأن الفواصل التي تعزلها ليست قاطعة أو حاسمة ، لكن هذا التداخل لايؤدي ، عند النظر الصحيح ، إلى الاختلاط أو التشويش . . . إن هناك حالات من التخارج والتباين وهما يتضحان في المقام الأول عند اختلاف الأسس المعرفية للمناهج المتعددة))[13] .

---

(7) ينظر المذاهب النقدية : ماهر حسن فهمي ، دار الطباعة الحديثة – مصر ، د. ت. ، 176

(8) ينظر مقدمة في النقد الأدبي : د . علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان ، ط 2، 1988 ، 404

(9) ينظر اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث : د. سامي عبابنة ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط2 ، 2010 ، 43 - 54

(10) ينظر الخطاب النقدي حول السياب : د . جاسم حسين سلطان الخالدي ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط 1 ، 2007 ، 59 - 60

(11) ينظر المناهج النقدية عرض تأريخي وإعادة تقويم : د . مرشد الزبيدي ، مجلة الأقلام ، ع 1 – 4 ، 1997 ، 22

(12) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث : د . أحمد درويش ، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة ، د . ت ، 14

(13) في النقد الأدبي : 12

يحق لنا بعد قراءة هذا النص أن نسأل فضل والمسدّي والطاهر وغيرهم ممن يُعوَّل عليهم في النقد الحديث : أين هي الأسس المعرفية المرتبطة بالمنهج التأريخي والمرتبطة كذلك بالمنهج الاجتماعي ؟ ثم ألا يحق لمتتبعي النقد الحديث أن يقدم لهم النقادُ الكبار أبرزَ هذه الأسس ليقطعوا الطريق على هذا التماهي والالتباس الماثل في هذين المنهجين ؟ يبدو أن المطالبة بالوقوف على الأسس المعرفية تغدو أكثر إلحاحاً إذا ما أدركنا أن بعضاً من التنظيرات النقدية للمنهج الاجتماعي - ولاسيما في نقدنا العربي - لم يكن بالمستوى الذي يحفظ له خصوصيته ويوفر له الإطار المفاهيمي الواضح والمستقر ، وهذا ما أربك بعض القائمين على الدراسات النقدية ذات التوجه السياقي . وفي هذا الموضوع تحديداً يؤكد الناقد شجاع العاني أنه ((على الرغم من معرفة النقاد العراقيين لآخر رواد هذا المنهج " لوسيان غولدمان " ولآخر ماوصلت إليه النظرية الاجتماعية أوالمنهج السوسيولوجي في الأدب ، فانّ النقد السوسيولوجي في العراق ما يزال بعيداً عن النقد المنهجي المنظم))[14] .

إن العاني في نصّه هذا يقدّم حقيقة نقدية ماثلة في الأوساط النقدية العراقية ، بل وفي الأوساط النقدية العربية التي طالما ظلت تعاني كثيراً من ضبابية الرؤية المنهجية لبعض التحولات النقدية ، وتجهل كذلك الجانب التأريخي المتعلق بمسيرة المناهج النقدية وتعاقبها . إن الباحث العربي المعاصر على الرغم من غزارة الكتابات النقدية فانه لايكاد يعثر على دراسات نقدية تُعينه على فهم التحولات المنهجية ومعرفة هذه السلسلة من الحلقات النقدية المكملة بعضها بعضاً ، وهذا ما حرص على تأكيده واحدٌ من أبرز النقاد الغربيين وهو لوسيان غولدمان حين ذكر ((أن النظريات الأدبية عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات التي يمكن أن تكون متتابعة أو متعاصرة ، ويستحيل أن توضع في " خانات " منفصلة))[15] .

نعود إلى نص العاني فنقول إن الناقد أثار نقطة مهمة تتعلق باعتراف صريح بمدى تعثر كثير من الدراسات النقدية التي لم تستطع أن تقدم نقداً سوسيولوجياً منهجياً منظماً على الرغم من معرفة معظم النقاد العراقيين لآخر ما وصلت إليه النظرية السوسيولوجية . ولنا في هذا النص ملحوظة مهمة وهي أنه على الرغم من أن العاني اعترف بعدم وجود نقد سوسيولوجي منهجي منظم في العراق ، إلا أنه لم يحاول تقديم مسوّغ منطقي لهذا النقد المتعثر . ونحن نعتقد أن هذا النقد المتعثر وغير المنظم إنما سببه غياب الأسس المعرفية للنظرية الاجتماعية عند أغلب النقاد ، وهذا يخالف ما ذهب إليه العاني الذي أكد اطلاع معظم النقاد العراقيين على آخر ما توصلت إليه النظرية الاجتماعية . ولو كان الأمر كذلك لاستقام الدرس النقدي الاجتماعي واتسم بطابع المنهجية والتماسك والوضوح .

---

(14) قراءات في الأدب والنقد : د . شجاع مسلم العاني ، اتحاد الكتاب العرب –دمشق ، 1999 ، 228

(15) موسوعة النظريات الادبية : د . نبيل راغب ، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر ، ط 1، 2003 ، 331-332 .

إن المتأمل في موضوع هذا البحث القائم أساساً على التشكيك في وجود منهج نقدي تأريخي قائم بذاته ويمكن التعويل عليه كمرتكز نقدي قادر على استكناه القيم الدلالية والجمالية للنص الأدبي . نقول إن المتأمل في موضوع هذا البحث قد يعرف السرَّ الذي دفع بكثير ممن نظَّر للمناهج النقدية السياقية إلى تناول واحد من هذين المنهجين والحديث عنهما كموضوع واحد ، ومن هؤلاء الباحثين في الغرب الناقد الفرنسي جان ايف تاديه في كتابه (النقد الأدبي في القرن العشرين) الذي اعتمد على المنهجين السوسيولوجي والنفسي بوصفهما منهجين سياقيين [16] . ومن هؤلاء الباحثين العرب سيد قطب في كتابه (النقد الأدبي أصوله ومناهجه) إذ اقتصر بحثه في أصول المناهج على الفني والتأريخي والنفسي والمتكامل [17] ، وكذلك الباحث الجزائري أحمد رحماني في كتابه (نظريات نقدية وتطبيقاتها) الذي جمع بين المنهجين في فصل واحد سمّاه " النقد التأريخي والاجتماعي " . ومن هؤلاء الباحثين كذلك أحمد كمال زكي في كتابه (النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته) ومحمد صايل حمدان في (قضايا النقد الحديث) ومحمد عبد الرحيم كافود في (النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي) وغيرهم ممن كتب في النقد الأدبي الحديث . وعلى الرغم من هذه الملحوظة فان القاريء لايصعب عليه أن يجد بعض الدراسات النقدية ممن وقف فيها أصحابها على هذين المنهجين منفردين ، غير أن الملفت في هذه الدراسات أنها ألّفت لأغراض تعليمية وهذا ما أكده أصحاب هذه المؤلفات . نذكر منهم على سبيل المثال الناقد علي جواد الطاهر في كتابه (مقدمة في النقد الأدبي) ، وكذلك الناقد صلاح فضل في كتابه (في النقد الأدبي) ، وكذلك الباحثان عبد الرضا علي وفائق مصطفى في كتابهما (في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات)[18].

إذا كانت هذه الدراسات قد ألفت لغرض تعليمي ، فإنها في اعتقادنا لم توفَّق في تقديم رؤية واضحة يفهم منها المتعلم ما يُشبع رغبته في معرفة أصول هذه المناهج النقدية وتطبيقاتها . ولغرض التأكد من صحة هذا الأمر نقدم بين يدي القاريء بعض ما دوَّنه هؤلاء الباحثون ، يقول الطاهر إن الناقد التأريخي ((يستعين بتأريخ العصر ونظمه السائدة على استجلاء النص الأدبي وإدراك ما خبأه الزمن وراء حروفه ، والعلم بما تضمنه - أو أشار إليه - من وقائع وأحداث ومواقع وأعلام))[19] أما بالنسبة للناقد الاجتماعي فغايةُ عمله ((بيان الصلة بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه))[20] إذا كان هذا ماينصُّ عليه الطاهر ، فلننظر ما حاول شرحه عبد الرضا علي عن المنهجين ((يقوم المنهج التأريخي على دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي إليه الأدب . . . لأن أتباع هذا المنهج يؤمنون بأن الأديب ابنُ بيئته وزمانه))[21] ويقول عن المنهج الاجتماعي : ((يؤكد هذا المنهج الدلالة

---

(16) ينظر الفصلان الخامس والسادس من هذا الكتاب الصادر عن منشورات وزارة الثقافة –دمشق ، 1993

(17) ينظر هذا الكتاب الصادر عن دار الشروق – القاهرة ، ط 8 ، 2003

(18) تنظر مقدمات هذه المؤلفات .

(19) مقدمة في النقد الأدبي : 398

(20) المصدر نفسه : 404

(21) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات : د. عبد الرضا علي و د . فائق مصطفى : دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل ، ط 2 ، 2000 ، 165

الاجتماعية للأدب والفن ، وبيان الصلة بين الأثر الأدبي والمجتمع الذي أنتجه . . . . إذ إن المشكلات الاجتماعية الحيوية للعصر الذي يعيش فيه الفنان هي التي تحفزه على الإنتاج الفني))[22]

ويحق لأي قاريء أن يتساءل : ألا تتداخل معرفة (تأريخ العصر ونظمه السائدة) و(الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية) مع معرفة (الصلة بين النص والمجتمع) ؟ ثم ما هو تأريخُ العصر ونظمهُ غير ما يسلكه المجتمع ويتعارف عليه الناس في زمن الأديب ؟

يبدو أن ما يُسعف الباحثين جميعاً على التفريق بين المنهجين هو ارتباط المنهج الاجتماعي بالنقد الماركسي أو إفادته من تصورات الواقعية الاشتراكية ، وهذان التوجهان يمتلكان من الآليات ما يعينهما على مقاربة النصوص الأدبية ، لذا يحسن بالنقد الأدبي فيما لو أراد فضّ هذا التداخل المؤثر سلباً على الدرس النقدي ، أن يتخلى عن مصطلح المنهج التأريخي ، ويُبقي على المنهج الاجتماعي ذي الطرح الماركسي ، هذا الطرح القائم على الوعي الطبقي الفئوي . وما يدعونا إلى ذلك هو أن ما يسمى بالمنهج التأريخي لايمكن أن يعد منهجاً نقدياً يحمل طابع الخصوصية النقدية ، فهو اتجاه تأريخي ، أو بعبارة أخرى هو توجه صوب تأريخ عام يحيط بالأعمال الأدبية لغرض تحصين عمل الناقد الأدبي من الوقوع في مغالطات تأويلية تنأى عن القصدية الذاتية للأديب . إن مثَلَ المنهج التأريخي مثلُ المنهج الانطباعي أو التأثري فهو كما قال مندور ((مرحلة أولى وجوهرية في النقد الأدبي أو الفني ، وإنما أسرف التأثريون عندما ظنوا أن تلك التأثرية يمكن أن تصبح منهجاً نقدياً مكتفياً بذاته))[23].

لايعد رأينا عن المنهج التأريخي كتوجه تأريخي فحسب رأياً غيرَ مسبوق ، إذ سبقنا إلى ذلك الناقد الفرنسي ألبيريس حين اعتقد أن أعمال سانت بيف وتين ولانسون مجرد عمل تمهيدي ، بل لايعدو عملاً إجرائياً[24] . أما القيمة الأساسية لهذا العمل التمهيدي فيكمن في أنه أداة رقابية تُجنّب الناقد التأويلات الكاذبة[25].

في ضوء ما ذهب إليه ألبيريس يتبين لنا أن الوظيفة الأساسية لأعمال بيف وتين ولانسون تتمحور حول حفظ الممارسة النقدية من الشطح التأويلي ، غير أننا لانتفق كلياً مع توجّه ألبيريس حينما عدَّ أعمال هؤلاء مجرد تصورات احترازية تمهّد للناقد عمله ، فالمتتبع لجهود هؤلاء النقاد يجد أن كتاباتهم أسست لظهور منهج نقدي اجتماعي لاسيما أن تين قد أدرك فيما بعد أن من الخطأ استبعاد مفهوم (القيمة)

---

(22) المصدر نفسه : 175
(23) النقد والنقاد المعاصرون : د . محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، 1997 ، 186
(24) ينظر الاتجاهات الأدبية الحديثة : ر. م . ألبيريس : ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات عويدات – بيروت ، ط 2 ، 1980 ، 118
(25) ينظر المصدر نفسه : 119

لحساب تفسير النص وفهمه ، لذلك شرع في إقامة نظام مزدوج يعتمد على القيمة الجمالية والاجتماعية [26] .

أياً كان الأمر فان محاولة إثقال الاتجاه التأريخي في النقد بإجراءات نقدية رصينة وواعية يعد ضرباً من الوهم ، ذلك أن ما قصد إليه هذا الاتجاه هو فقط ربط الأعمال الأدبية والفنية بجذوره التأريخية ومحاولة تفسير هذه الاعمال انطلاقاً من هذه الجذور . وبناء على ذلك ليس من الدقة والموضوعية بمكان أن يطالب بعض النقاد ومنهم علي جواد الطاهر من الناقد التأريخي أن يتجه صوب الاحتفاء بلغة النص الأدبي وقيمه الجمالية ، وأن يُغلّب الجانبَ النقدي على الجانب التأريخي ، حتى صار حديث الطاهر عن (التوازن) الذي يتعين على الناقد مراعاته فيما بين الناقد والمؤرخ محلَّ اهتمام كثير من الباحثين . يقول الطاهر : ((والمنهج التأريخي في النقد شأن أي منهج حساس ، إذا فقدَ فيه صاحبُه توازنَه زلّت به قدمه واختل ميزانه))[27].

نفهم من هذا النص أن الطاهر قد عوَّل كثيراً على إمكانات الاتجاه التأريخي في النقد وأراد من هذا الاتجاه أن يتحمل أعباء التحليل النقدي ويستعدَّ لفهم الأدب لاعن طريق المنظومة التأريخية فحسب ، وإنما بالإفادة من عناصره الفنية . لقد صارت مقولة (التوازن) لدى كثير من الباحثين مطلباً شرعياً وإجراءً لايمكن الاستغناء عنه ، وسار على هدي هذه المقولة كثيرون ومنهم مرشد الزبيدي[28] ، وفائق مصطفى[29]، وجاسم حسين الخالدي[30] .

نحن نظن أن ما يسمى بالمنهج التأريخي قد احتل حيزاً كبيراً في مدونة النقد الأدبي ، وأحيط بهالة تنظيرية تفوق حجمه الطبيعي ، وما يؤكد صحة هذا الرأي هو أن النظرية النقدية بتأريخها الطويل غالباً ما تتقبل الطروحات النقدية إذا كانت مبنية على مرتكزات نقدية واضحة ومفاهيم إجرائية ، وتعترف بانبثاقة منهج نقدي جديد إذا وفَّرت له هذه المرتكزاتُ خصوصيةَ الطرح النقدي واستقلاليتَه عن المناهج الأخرى السابقة عليه . إن مثل هذه الاستقلالية يمكن ملاحظته في كل المناهج النقدية : الاجتماعي والنفسي والبنيوي والتفكيكي والسيميائي وغيرها .

إن كل منهج من هذه المناهج مع أنه يفيد مما سبقه من مناهج إلا أنه يبقى محتفظاً بخصوصيته وراسماً لنفسه حدوداً تعزله قدر الإمكان عن غيره من المناهج ، وهذا ما لا يمكن ملاحظته على ما يسمى بالمنهج التأريخي ، فهذا المنهج لم ينبن على آليات منهجية لها رواسمُ نقدية متماسكة ورصينة بحيث يمكن للناقد أن يفيد منها ، وهذا خلاف ما نجده في المنهج الاجتماعي الذي وُسمت آلياته بالقدرة على التغيير

---

(26) ينظر مفاهيم نقدية : رينيه ويليك ، ترجمة د. محمد عصفور ، عالم المعرفة – الكويت ، 1987، 41- 42
(27) مقدمة في النقد الأدبي : 398
(28) ينظر اتجاه نقد الشعر العربي في العراق : 125
(29) ينظر في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات : 166
(30) ينظر الخطاب النقدي حول السياب : 89

والتطور والتعديل . إن المتأمل في الطرح المبسط للمنهج التأريخي القائم على ربط الأدب بمحيطه التأريخي العام سرعان ما يشعر بضعف هذا المنهج وضآلته إزاء الطروحات المهمة التي قدمها منظرو المنهج الاجتماعي ، وإفادتهم من التصور الماركسي ومفاهيم الواقعية الاشتراكية والفلسفة الوجودية . حتى أنه في ضوء هذه الطروحات المهمة والغنية ((لم يتردد بعض ممارسيه في اعتباره النقد الممثل للحداثة في وجه القدم ، أو حتى بوصفه النقد الصحيح في مقابل النقد الخاطيء))[31].

إن النقد الاجتماعي وبناء على مقولاته المنضبطة والغنية قد أسهم في إثارة الخلاف حول ما يتعلق بالتسمية الأكثر دقة له ، فعلى سبيل المثال يسميه الناقد محمد مندور بـ (المنهج الآيديولوجي)[32] ويسميه حسين مروّة (المنهج الواقعي) فكانت هذه التسمية جزءاً من عنوان كتابه (دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي) فيما أطلق عليه بعضهم تسميات أخرى مثل النقد الماركسي والنقد اليساري[33] .

إن الغنى الذي تمثَّل به المنهج الاجتماعي في مقابل الفقر الواضح للمنهج التأريخي يكمن في ما رفده به النقدُ الماركسي . لقد استطاع هذا النقد أن ينقل الاتجاه التأريخي في النقد من سياق الوعي التأريخي إلى سياق الوعي الطبقي المجتمعي . إن اتكاء الاتجاه التأريخي على الطرح الماركسي هو الذي خلق نمطاً جديداً في التوجه النقدي ، لينكفيء هذا الاتجاه وينحسر أمام انبثاقة المنهج الاجتماعي . يقول صلاح فضل إذا كان المنهج التأريخي يعتمد على الوعي التأريخي ، فانه ((سرعان ما تحول هذا الوعي إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع وبفكرة الطبقات))[34] . لقد كانت فكرة (الوعي الطبقي) واحدة من أبرز التوجهات الفلسفية التي أغنت المنهج الاجتماعي وأكسبته عمقاً في المعادلات النقدية .

– – – –

مع أننا نتفق مع من سبقنا من الباحثين أن المنهجين التأريخي والاجتماعي تجمعهما قواسم مشتركة كثيرة ، إلا أنه بالإمكان فك هذا الارتباط الوثيق فيما بينهما . ونحن بعد تقصينا لمقولات هذين التوجهين صار بإمكاننا وضع بعض النقاط التي تحفظ لكل منهما امتيازه الخاص ، ويمكن إجمال هذه النقاط بالآتي :

1. ارتباط المنهج التأريخي بتأريخ الأدب ، وارتباط المنهج الاجتماعي بنقد الأدب.

---

(31) دليل الناقد الأدبي : د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط2 ، 2000، 253
(32) ينظر النقد والنقاد المعاصرون : 187
(33) ينظر دليل الناقد الأدبي : 253
(34) في النقد الأدبي : 27

2. تأكيد المنهج التأريخي على إضعاف دور القاريء في قراءة النص الأدبي ، يقابله اهتمام المنهج الاجتماعي بهذا الدور .
3. بروز سلطة (ماضي) النص الأدبي لدى المنهج التأريخي ، يقابله بروز سلطة (حاضر) النص الأدبي لدى المنهج الاجتماعي .
4. مثول مرجعية (المجتمع) كنظام إنساني عام لدى المنهج التأريخي ، يقابله مثول المرجعية (الطبقية) كتشكيل مستقل ضمن تشكيلات طبقية أخرى معقدة ومتناقضة .

ولكي تتضح جملة هذه الاختلافات المذكورة سلفاً يتعين علينا الوقوف عندها وتقصي المقولات التي تحفظ لكل من المنهجين استقلاليته . إن أول مايطالعنا عند الحديث عن هذا الموضوع هو أن واحداً من أسباب التداخل بين المنهجين هو تشابه تأريخ الأدب مع نقد الأدب وتداخلهما ، وأمر هذا التداخل محسوم عند دارسي النظرية الأدبية . وعن هذا الموضوع تقول بشرى موسى صالح ((يخلط الدارسون بين ميادين دراساتهم الأدبية ، فيدافعون عن مقاصد غير متحققة في كتاباتهم يعود سببها الرئيس إلى عدم تمييزهم بين النقد الأدبي وما يجاوره من علوم اغترف منها عبر مسيرته الطـويلة ولاسيما تأريخ الأدب))[35]

لم يكن هذا الخلط الماثل بين تأريخ الأدب ونقد الأدب مقتصراً عند حدود التعريف بهذين الموضوعين ، وإنما امتد ذلك إلى خلاف واضح يتعلق بمسألة أيّ من الطرفين قد أفاد من الآخر ، تأريخ الأدب أم المنهج التأريخي ؟ فيذهب صلاح فضل مثلاً إلى أن ((التأريخ الأدبي نفسه يدين في هذا للمنهج التأريخي النقدي في نشأته وازدهاره))[36] وهذا النص يشير على نحو واضح أن المنهج الـتأريخي قد سبق في ظهوره التأريخَ الأدبي ، وأن هذا الأخير لم ينشأ ويزدهر إلا في ظل نشوء المنهج التأريخي وازدهاره . إذا كان رأي صلاح فضل يذهب بهذا الاتجاه ، فان بشرى موسى تذهب في الاتجاه الآخر فتقول ((ومع هيبوليت تين ، وبرونتيير ، وسانت بيف ، وماثيو آرنولد ، وغوستاف لانسون وغيرهم بدأ تأريخ الأدب ينحو منحى منهجياً تصاعدياً نحو القرن العشرين ، وأصبح يعرف تحت مسميات جديدة منها النقد التأريخي ، والمنهج التاريخي))[37].

على وفق هذا النص الأخير يكون المنهج التأريخي قد وُلد من رحم الدراسات المتعلقة بتأريخ الأدب ، ولعل الباحث في هذا الموضوع يجد أن هذا الرأي قد يكون أكثر موضوعية وأقرب إلى الصواب ، وذلك أن موضوع تأريخ الأدب موضوع واسع لاتُعرف له حدود واضحة ، فهو يرتبط على نحو

---

(35) المفكرة النقدية : د. بشرى موسى صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد ، ط1 ، 2008، 16
(36) في النقد الادبي : 24
(37) المفكرة النقدية : 19

عام بدراسة تأريخ الآداب والوقوف عند ظواهره ومسبباته وجذوره ، بل هو يتداخل على نحو ما مع الممارسة النقدية ، ذلك أن التأريخ الأدبي لايعدو أن يكون ((علماً موازياً ومتداخلاً ومستقلاً عن النقد))[38]، أما المنهج التأريخي فهو خلاصة ما انتهى إليه تأريخ الأدب وأحد إفرازاته المهمة بعد عملية التطور والتهذيب التي مر بها .

لعله ليس من وكد هذه الدراسة - وعند هذه النقطة بالتحديد - الخوض في غمار البحث عن مفهومي تأريخ الأدب والمنهج التأريخي ، بقدر ما مكلَّف بمهمة الكشف عن ارتباط المنهج التأريخي بتأريخ الأدب وارتباط المنهج الاجتماعي بنقد الأدب . وربما اقصر الطرق إلى التحقق من صحة هذا الأمر توافق كل من تأريخ الأدب والمنهج التأريخي على جملة من التصورات تتضارب مع تلك التصورات التي اتفق عليها كلٌّ من النقد الأدبي والمنهج الاجتماعي . أما أبرز هذه التصورات فهو ما يتعلق بعملية إشراك القاريء وعدم إشراكه في الكشف عن محتوى النص الأدبي ، يقول الناقد الفرنسي اميل فاجيه في أثناء التفريق بين تأريخ الأدب ونقد الأدب : ((وبالجملة فان المؤرخ الأدبي ليس له أن يلمَّ ولا أن يخبرنا إلا بالوقائع وبالعلاقات التي تقوم بين هذه الوقائع ، ولايجوز أن يحس القاريء بطريقة حكمه ، بل ولا بأنه يحكم . . . وأما النقد فعلى العكس من ذلك ، يبتديء حيث ينتهي التأريخ الأدبي . . . وما يطلب من الناقد هو رأيه في الكاتب أو في الكتاب الذي ينقده . بها في هذا الإقليم))[39].

من يتأمل فكرة إسهام القاريء وعدم إسهامه في الكشف عن محتوى النص يجد أنها ماثلة كذلك في المنهجين الاجتماعي والتأريخي ، وهذا ما سنوضحه عند حديثنا عن النقطة الثانية من تلك النقاط الأربعة المذكورة . ومن دلائل ارتباط المنهج التأريخي بتأريخ الأدب وارتباط المنهج الاجتماعي بنقد الأدب هو أن تأريخ الأدب يحرص دائماً على عدم التنازل عن قصد الكاتب ، فالعمل الأدبي ليس بوسعه إلا أن يحتضن هدف الكاتب ويختزل نواياه . يقول أي. أي. ستول إن ((إعادة تشكيل هدف الكاتب هو الهدف الرئيس لكل تأريخ أدبي))[40]ومما لاشك فيه أن فكرة " إعادة تشكيل" الواردة في نص ستول تشير على نحو واضح إلى مفهوم (الاشتقاق) ، هذا المفهوم المرتبط بدلالة الاجترار والتمثّل التي يبحث عنها تأريخ الأدب في ما بين النص الأدبي من جهة ، والظروف التأريخية المحيطة به من جهة أخرى .

إن غاية ما يبحث عنه تأريخ الأدب هو انعكاس الواقع الخارجي - بما فيه قصد الكاتب - في النص الأدبي ، فهذا الواقع الخارجي هو المرجع المباشر

---

(38) في النقد الأدبي : 24

(39) في الأدب والنقد : 95 - 96

(40) نظرية الأدب : رينيه ويليك وأوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة د. حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب – الكويت ، 1972، 49

الذي يتعين على الأدب أن يبقى مشدوداً إليه محكوماً به . والأدب من وجهة نظر تأريخ الأدب ملتصق بالخارج ومشتق منه ، على خلاف النقد الأدبي الذي يحرص على قراءة هذا الخارج فنياً . وفي ضوء ذلك يؤكد أف. وو. بيتون ((بأن التأريخ الأدبي يُظهر أن أ مشتقة من ب : في حين أن النقد الأدبي ينص على أن أ أفضل من ب))[41].

على وفق هذا التصور بإمكاننا القول إن تأريخ الأدب يبحث عن فكرة (المطابقة) مع الخارج ، فيما يبحث النقد الأدبي عن فكرة (الاختلاف) مع هذا الخارج ، ((وبحسب هذه النظرة يعالج النموذج الأول الوقائعَ القابلة للتحقق من صحتها ، ويعالج الثاني مسائل الرأي والإيمان))[42]. إن ارتباط المنهج التأريخي بتأريخ الأدب هو الذي يكشف عن سر ضعف هذا المنهج وعجزه عن تقديم ورقة نقدية قابلة للتطور ، ذلك أن تأريخ الأدب يسعى فحسب إلى تقدير مدى انسجام النص الأدبي مع محيطه الخارجي ، ومن ثَمَّ هو يبحث في النص الأدبي عن المقولات الخطابية المعبرة تعبيراً مباشراً عن قصد الكاتب ومحيطه . يقول كابانس عن هذا الموضوع ((وبما أن التأريخ الأدبي يهتم بالموضوعية بسبب تقديسه للحقيقية التأريخية ، فانه لايريد أن يفرض تأويلاً للأثر . . . وبما أن التأريخ الأدبي يرغب في أن يأتي بفهم واضح ، فانه لا يطرح على بساط البحث قضية تعدد المعاني في الأثر ، بل يفتش من جديد عن معنى وحيد ومحدد للتأريخ))[43].

إن اعتماد المنهج التأريخي على كثير من تصورات التأريخ الادبي قاد المهتمين بهذا المنهج إلى ايلاء ((أهمية بالغة على الكتّاب أو المؤلفات الثانوية المرتبة ، وعندهم أن الكتّاب والمؤلفات الثانوية كثيراً - بل غالباً - ما تكون أكثر دلالة من الناحية التأريخية والإنسانية العامة من كتّاب ومؤلفات الدرجة الأولى ، لأنها ولأنهم يعتبرونها مرآة أصدق لعصورهم ، وأما البارزون من الناس فكثيراً ما يسبقون أو يتأخرون عنه))[44].

ربما يشكل مستوى النص المنقود من حيث مرتبته الفنية واحداً من السمات المهمة التي تميز المنهج التأريخي من المنهج الاجتماعي . ولما كان هذا هو حال المنهج التاريخي ، فانه ظل بمنأى عن مهمة الكشف عن القيم الجمالية للأدب ، ناظراً إليه بوصفه بناءً لغوياً ينقل بأمانة ودقة الواقعَ التأريخي ومنظوماته . إن انشغال المنهج التأريخي ، بل وعلم الاجتماع الأدبي عند بداياته الأولى بالمحتوى دون الشكل جعلهما عرضة لهجوم كثير من النقاد ومنهم غولدمان اذ قال : ((إن علم الاجتماع الأدبي المهتم بدراسة

---

(41) نظرية الأدب : 48
(42) نظرية الأدب : 48
(43) النقد الأدبي والعلوم الإنسانية : جان لوي كابانس ، ترجمة د. فهد عكام ، دار الفكر –دمشق ، ط1 ، 1982، 11-12
(44) في الأدب والنقد : 15

المحتوى للعمل الأدبي غالباً ما يبدو أدب تسجيل وقائع ، وغالباً ما ينجح في دراسة الأعمال الأدبية من المستوى العادي . . . ولكنه يفقد شرعيته كمنهج في دراسة أعمال على مستوى من العظمة))[45].

على الرغم من ثراء هذا النص الذي يؤكد ضعف التوجه النقدي لدى علم الاجتماع الأدبي المهتم بالمحتوى ، غير أننا نلتقط من نص غولدمان ما يؤكد حكمنا على أن ما يسمى بالمنهج التأريخي لا يرتقي لمستوى المنهج النقدي ، فغولدمان يؤكد في نصه هذا أن كل توجه نقدي نحو محتوى الأدب لا يجعل من هذا التوجه نقداً منظماً بل ((يُفقد شرعيته كمنهج)) ، وفي ضوء اهتمام غولدمان بضرورة التوجه حيال شكل النص الأدبي يؤكد أن ((البنيوية التكوينية وبخاصة الأعمال التي قدمها جورج لوكاتش تمثل نقطة انعطاف في علم الاجتماع الأدبي . فكل مدارس علم الاجتماع الأدبي ، قديمها وحديثها تحاول باهتمام أن تقيم علاقات بين محتوى العمل الأدبي والوعي الجمعي))[46] .

تؤكد دراسات غولدمان جميعها أن التأريخ الأدبي لم يرتق يوماً إلى مرتبة الدرس النقدي إلا بظهور أعمال لوكاتش ذات الطابع البنيوي التكويني ، ولنا في عنوان الدراسة التي قدمها غولدمان ما يؤكد التقابل فيما بين تأريخ الأدب ونقد الأدب ، ومن ثَمَّ التقابل فيما بين المنهج الاجتماعي والمنهج التأريخي ، فدراسته جاءت تحت عنوان (البنيوية التكوينية وتأريخ الأدب) فهذا العنوان شاخص بدلالته على ارتباط النقد الأدبي بالبنيوية التكوينية كواحد من إفرازات المنهج الاجتماعي ، وارتباط التأريخ الأدبي بالمنهج التأريخي .

– – – –

أما ثاني المرتكزات التي تفرق بين المنهجين التأريخي والاجتماعي فتتمثل في أن المنهج التأريخي يتحاشى أي إسقاطات يُحدثها الناقد على النص الذي يقرأه ويفسره ، وهو خلاف ما أراده المنهج الاجتماعي الذي أتاح للقاريء التجوال في ثنايا النص واكتناه أبعاده . يقول سيد قطب انه يتعين علينا ((أن نقتصد من تدخل أحكامنا الفنية في المنهج التأريخي على قدر الإمكان ، وأن نحتفظ لها بمكانها الطبيعي الذي لاتتجاوزه ، فحكمنا الفني على نص أو على أديب إنما هو حكمٌ واحدٌ من أحكام كثيرة سجلها التأريخ . . .

(45) البنيوية التكوينية وتأريخ الادب : لوسيان غولدمان ، ترجمة د. علي الشرع ، مجلة الثقافة الأجنبية ، ع 4، 1988، 16
(46) البنيوية التكوينية وتأريخ الأدب : 16

فيجب عند النقد التأريخي أن نضع حكمنا هذا بجانب تلك الأحكام))[47]. لقد شدد المنهج التأريخي على ضرورة الإبقاء على تلك المسافة فيما بين الناقد والنص الأدبي والاحتفاظ بحصانة محتوى النصوص الأدبية بعيداً عن تدخلات القاريء وتوجهاته الفكرية والانطباعية . يمكن ملاحظة هذا الأمر عند قراءتنا لنص لانسون إذ قال : ((وعلى أي حال فموضع الخطر بالنسبة إلينا هو أن نتخيل بدلاً من أن نلاحظ ، وأن نعتقد أننا نعلم عندما نحس))[48].

ينقل لنا هذا النص حرصَ لانسون على أن تكون القراءة مشدودة أبداً بعنصري الملاحظة والعلمية ، وغاية الخطر الذي يخشاه لانسون وأتباعه هو أن توسم هذه القراءة بميسم التخيل والإحساس . وعلى الرغم من أن لانسون لم يقصد بهذه العلمية منهجَه الصارم ، وإنما روحه فحسب[49]، إلا أنه بقي حذراً مما قد يُحدثه التفكير من تشويه لقصد الكاتب . فلا ينبغي أن نتمادى في التفكير ويتعين علينا ((أن نقصره على العمليات القصيرة كاستخلاص نتيجة مباشرة . . . أما سلاسل التفكير فمن الواجب التخلي عنها ، إذ إنها كلما ازدادت طولاً ازدادت ضعفاً))[50] . ولما كان أمر المنهج التأريخي على هذا الشكل من عدم تحقق السمة النقدية ((هوجمت الطريقة التأريخية مبكراً بسبب من ضعف العنصر النقدي فيها))[51] .

لقد أدرك الخطاب النقدي الاجتماعي ضعف الأساس النقدي وهشاشته ، لذلك أفاد من شيوع الفلسفة الذاتية التي طرحها مجموعة من الفلاسفة ومنهم كانط وفيختة وشيلنج وصولاً الى هيجل ، ((فقد طرح هؤلاء الفلاسفة جميعاً الوعي الإنساني باعتباره مستودع معرفة الإنسان بالعالم الخارجي ، مما فتح الباب أمام اعتبار الفهم الفردي والشخصي معياراً للمعرفة))[52]. وفي فترة ما بين الحربين العالميتين شرع التفكير النقدي التحرر قدر الإمكان من سلطة قصد الكاتب ، وصار ينظر إلى مفهوم التأريخية على وفق رؤية مغايرة تؤمن بلحظة القراءة والتفسير الآني للعقل ، وهذا ما أشار إليه الباحث الفرنسي لوسيان فيفر إذ قال ليس ((هنالك حقيقة مطلقة ونهائية ، بل العلم الواعي بأن (التأريخ هو ابن زمنه) ، لأن كل عصر يصنع لنفسه عقلياً تصورَه للماضي وبهذا عينه يظل عصر من العصور دائماً شيئاً لابد من صنعه أو تحليله))[53].

إذا كان دعاة المنهج التأريخي قد وقعوا تحت ضغط سلطة التأريخ المرتبط بالقصدية والوقوف عند تخوم هذا التأريخ ، فان دعاة المنهج

---

(47) النقد الأدبي أصوله ومناهجه : 167
(48) منهج البحث في الأدب واللغةضمن كتاب النقد المنهجي عند العرب : د. محمد مندور ، دار نهضة مصر ، 1969، 410
(49) ينظر المصدر نفسه : 416
(50) المصدر نفسه : 423
(51) مقدمة في النقد الأدبي : 400
(52) قرن الخطاب النقدي والنظرية الأدبية : صبري حافظ ، مجلة فصول ، ع 70، 2007، 205
(53) النقد الأدبي والعلوم الانسانية : 63-64

الاجتماعي كانت لديهم الجرأة في تجاوز هذه التخوم واستحضار التأويل الفردي المنطلق من النص الأدبي . يقول بيير باربيريس ((لقد ولد هذا النقد بين أولئك الذين آمنوا بالتأريخ ومن قاموا بتحليله ونقده ، واحتفظ ببعده النضالي المختلف قليلاً وغير المبرمج . فهو يقول إن كل شيء هو تأريخي واجتماعي وسياسي ، لكن النصوص تأتي أولاً وهي دوماً نصوص مكان ولحظة ما))[54] .

لقد شهدت التجربة النقدية عند انبثاقة المنهج الاجتماعي انعطافة نوعية ، ذلك أن كل توجهات المنهج التأريخي قديمها وحديثها قد أولت عنايتها بذلك الواقع ، فلم يكن الأدب في حينها إلا وعاءً ينقل بأمانة علمية تلك المعادلات الخارجية ، وهذا ما رفضه المنهج الاجتماعي حينما اتجه صوب تفعيل عنصر القراءة لأنها خلق وابتكار ، ولأنها ((عند مستواها الخاص ، تساهم في اغناء وتقدم الوعي بالظاهرة الاجتماعية – التأريخية : فالتأويل - مثل الكتابة والإبداع – يساهم ، ولو بطريقة غير ثابتة دوماً ، في تشكيل واستعادة وعينا بالواقع في أشكاله المتعددة))[55] . يمكن للباحث في النقد أن يجد في عملية فتح قنوات القراءة والتأويل واحدة من الامتيازات المهمة التي حسمت للمنهج الاجتماعي مكانته في الخطاب النقدي وأقرّت له باستقلاليته عن المنهج التأريخي .

– – – –

أما ثالث المرتكزات التي تفصل بين المنهجين فتعود إلى أن المنهج التأريخي ينظر إلى ماضي النص الأدبي ومؤلفه بوصف هذا الماضي ضرورة ، لذلك لابد من استحضاره ذهنياً والوقوف عند سياقه . أما بالنسبة للمنهج الاجتماعي فهو يكتفي قدر الإمكان بحاضر النص الأدبي بوصفه القوة الحقيقية المحركة للعملية النقدية . ولعل فكرة الماضي التي يعنى بها المنهج التأريخي تعود إلى مفهوم (تأريخ الأدب) الذي يهتم بدراسة الماضي الإنساني كما يصوره النص الأدبي[56]. وإذا كان تأريخ الأدب يتجه إزاء دراسة الماضي أدبياً ، فان الباحث التأريخي ، نظراً لارتباطه بتأريخ الأدب ، صار يستخدم ((المنهج التأريخي لتفسير ووصف ماضي الظواهر الأدبية ، ويوضح لنا : كيف جاءت وأين ومتى ظهرت ؟))[57].

---

(54) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي : مجموعة من الكتّاب ، ترجمة د. رضوان ظاظا ، مراجعة د. المنصف الشنوفي ، عالم المعرفة – الكويت ، 1997، 206

(55) المصدر نفسه : 169

(56) ينظر نظريات معاصرة في تفسير الأدب النظرية والتطبيق : د. سمير سعد حجازي ، دار الآفاق العربية – القاهرة ، ط1، 2001، 92

(57) نظريات معاصرة في تفسير الأدب النظرية والتطبيق : 94

ربما يتجه المنهج التأريخي صوب دائرة الماضي لغرض تحقيق غايات معينة ، من أهمها هو أن ((وظيفة النقد التأريخي أن يربط بين العصور ويرصد الظاهرة الأدبية في تطورها من عصر إلى آخر))[58]. ولعل من تلك الغايات كذلك هو حرص هذا المنهج على معرفة التطور الحاصل في التفكير الإنساني وفي لغته[59]. ومع أهمية هاتين الغايتين ، فان لانسون يقدم لنا تعليلاً موضوعياً فيه من العمق النقدي ما يدخلنا إلى ثقافة تناصية قائمة على فكرة الاحتواء والتحويل . يقول لانسون : ((فأكثر الكتّاب أصالة هو إلى حد بعيد راسب من الأجيال السابقة وبؤرة للتيارات المعاصرة ، وثلاثة أرباعه مكوَّن من غير ذاته . . . يجب أن نعرف ذلك الماضي الممتد فيه وذلك الحاضر الذي تسرب إليه))[60] .

يقوم نص لانسون على بعد نقدي مؤسّس ، فهو كما ذكرنا يقترب من فكرة التناص ، بل كان نصاً رامزاً إلى نظرية بلوم المتعلقة بفكرة (قلق التأثير) . وكان بإمكان لانسون وتلامذته الإفادة من فكرة ترسّب الماضي إلى الحاضر ، غير أن مثل هذا لم يحدث وذلك بسبب انشغال لانسون والنقاد التأريخيين بقصدية الكاتب وحرصهم على المطابقة فيما بين محتوى النص الأدبي والظروف التي أنتجته . إن غاية لانسون من العودة إلى الأجيال السابقة كانت محصورة بدافع الرغبة في فكّ مغاليق النص الأدبي وإرجاعه إلى سياقاته الكبرى . لقد أجهد المنهج التأريخي نفسَه في الاتكاء على فرضية (الأنساق المتكاملة) ، لأنها تعينه على ((النظر إلى الوقائع الأدبية وباعتبارها عنصراً من عناصر البنيات الثقافية))[61].

إذا كان المنهج التأريخي قد وسَّع كثيراً من دائرة اهتمامه بالسياق العام للأدب فشمل ذلك ماضي النص الأدبي وحاضره ، فان المنهج الاجتماعي قد خفف من حدة هذا الاتساع وذلك حين استبعد ماضي النص الأدبي ليُبقي على حاضره . وربما استمد فكرة إقصاء الماضي والاهتمام بالحاضر من علم الاجتماع الذي انطلق منه . فالعلوم الاجتماعية مهووسة بفكرة ((الفترة الحديثة)) لأن هذه الفترة بالنسبة لعلم الاجتماع تمثل العنصر الأساس لتنظيراته والسمة الجوهرية لتحركاته[62]. باستطاعتنا القول بعد ذاك إن اهتمام المنهج الاجتماعي بحاضر النص الأدبي قد يشكل عنصراً مهماً من عناصر التحليل الاجتماعي للأدب وواحداً من المرتكزات التي تحفظ للنقد الاجتماعي تميّزَه عن النقد التأريخي . وحول هذا الموضوع يتفق صلاح فضل مع لوكاتش في القول بـ ((أن البحث والنقد إذا توجه إلى التأريخ القديم كان

---

(58) مقدمة في النقد الأدبي : 399 وينظر النقد الأدبي أصوله واتجاهاته : 165
(59) ينظر المذاهب النقدية : 180
(60) منهج البحث في الأدب واللغة : 408
(61) نظريات معاصرة في تفسير الأدب النظرية والتطبيق : 94
(62) ينظر الخيال السوسيولوجي : 219

تأريخياً ، وإذا توجه إلى العصر الحديث يمكننا أن نسميه حينئذ اجتماعياً))[63].

إن من يتابع المسيرة النقدية الحديثة بتحولاتها المعروفة يجد أن كل الطروحات النقدية المتتابعة كانت تنحو باتجاه تضييق مساحة السياقات الخارجية ، حتى شرعت هذه المساحة بالاختفاء تماماً حينما أطلَّ منظرو المنهج البنيوي بطروحاتهم التي أكدت استئصال النص الأدبي عن عالمه والنظر إليه بوصفه نظاماً من الرموز والإشارات . وبإمكان الباحث في هذا الموضوع أن يلاحظ هذا الأمر ، فيما لو أراد ملاحقة مفاصل علم الاجتماع الأدبي التي شهدت التحولات الآتية :

1. علم اجتماع الظواهر الأدبية التي تزعمها الفرنسي سكاربيه .
2. علم اجتماع الأجناس الأدبية التي نظَّر لها جورج لوكاتش .
3. علم اجتماع الإبداع الأدبي ويرتبط بالناقد لوسيان غولدمان .
4. علم اجتماع النص الأدبي وأبرز من يمثله الناقد بيير زيما[64] .

تكشف هذه العلوم بتوجهاتها النقدية أن موضوعة (التصور التأريخي) كانت حاضرة بدليل وجود مصطلح (علم اجتماع) ، غير أن هذا التصور أخذ يضعف مع كل تحول تشهده التنظيرات النقدية ابتداءً من الظواهر الأدبية ، ثم الأجناس الأدبية ، فالإبداع الأدبي ، حتى وصل الأمر من ضعف هذا التصور التأريخي أن انزوى أمام حضور النص الأدبي بوصفه نظاماً لغوياً اشارياً يرمز إلى ثقافة ما ويوميء إلى رؤية خاصة للعالم .

إن اتكاء المنهج التأريخي على مساحة واسعة من السياقات التأريخية قد جاء بدافع الرغبة في الحفاظ على قصد المؤلف واحتواء المعادلات الخارجية بكل توجهاتها وتنوعاتها كشرط أساس في بنية الأدب . ومثل هذا الأمر يضعف من عملية القراءة ويحد من إسقاطات الناقد على النص الأدبي ، ذلك أن المعادلة فيما بين حضور السياق أو حضور الذات القارئة إنما هي معادلة عكسية ، فحضور أحدهما يعني غياباً للآخر . ولما كان السياق في المنهج التأريخي مفتوحاً بكل إمكاناته ، فان ذلك يعني أن هذا المنهج يفقد شرعيته مرة أخرى كمنهج نقدي قادر على اكتناه رموز الأدب وإيحاءاته .

– – – –

ما بقي من مدونة هذا الموضوع هو التثبت من تباين المرجعية التي يحاول المنهجان قراءتها في النصوص الأدبية . فالمنهج التأريخي ينظر إلى الأدب بوصفه مرآة عاكسة لروح العصر الذي يعيش فيه الأديب ، ومن ثَمَّ يبحث بعد

---

(63) في النقد الأدبي : 23

(64) استعرض صلاح فضل الخطوط العامة لهذا الموضوع ينظر كتابه (في النقد الأدبي) : 29- 37

ذاك عن صورة (المجتمع) بوصفه نظاماً كلياً شاملاً تجمعه مصالح مشتركة وتشغله قضايا مصيرية واحدة . أما المنهج الاجتماعي فينظر إلى الأدب على أساس أنه بنية فنية تختزل ثقافةً (طبقية) أو فئة معينة من المجتمع . بناء على ذلك يكون هَمُّ المنهج الاجتماعي هو البحث عن تلك الصراعات الدائرة فيما هذه الطبقات ، هذه الصراعات التي يختزلها الأدب ويخفيها حسب طرائق مستقاة من قيمه الفنية والجمالية .

يقول لانسون إن همنا الأسمى في بحثنا الأدبي ((هو أن نُهدي أولئك الذين يقرأون إلى العثور في صفحة لمونتين أو مسرحية لكورني أو سونتا لفولتير إلى مرحلة من الثقافة الإنسانية الأوربية أو الفرنسية))[65]. يتضح من هذا النص أن هذا لانسون لايبحث عن ثقافة خاصة بكورني أو بفولتير ، وإنما هو يبحث في أعمال هذين الأديبين وغيرهما عن ثقافة إنسانية عامة تشمل جيلاً أو أمة بأكملها . لذلك تبقى فكرة الثقافة المرتبطة بأمة أو بعصر حاضرةً بقوة لدى نقاد المنهج التأريخي ، فغاية هذا المنهج كما يقول سيد قطب هو محاولة معرفة لون التفكير السائد في عصر من العصور والوقوف على خصائص آداب جيل أو أمة ما[66].

ان العثور على نوايا الكاتب من وجهة نظر المنهج التأريخي يظل مرتبطاً بثقافة العصر الذي يعيشه ، ونابعاً من مناخه الذي يحيط به . وهذا ما أكده ديفيد ديتش إذ أشار إلى أن توجه المنهج التأريخي ((لا يشمل التوجه إلى القصد الذاتي لدى الشاعر بقدر ما يشمل بحثاً مستقصياً للمناخ الحضاري في عصر الشاعر))[67]. تشير كل النصوص الصادرة عن المنهج التأريخي إلى أن النص الأدبي لا ينقل تجربة خاصة بالأديب أو بالفئة التي ينتمي إليها بقدر ما ينقل تجربة تنتمي إلى دائرة أوسع هي دائرة المجتمع أو الجيل الذي ينتمي إليه .

بقيت الدراسات المنضوية تحت المنهج التأريخي بكل توجهاتها تبحث في النص الأدبي عن مرجعية عامة متمثلة بـ (المجتمع) بوصفه بنية شاملة موحدة . ويبدو أن العناصر الثلاثة التي قدمها هيبوليت تين (الجنس والوسط والبيئة) هي التي وسمت الدراسات التأريخية بطابع الوحدة الاجتماعية ، ذلك أن هذه العناصر بمجموعها لا تتجاوز الحديث عن مستوى عام من البناء المجتمعي . وعلة ذلك أن التعاطي مع أديب ما من حيث الجنس أو الوسط أو البيئة يعني بالضرورة أنه سيمثل الوسط الثقافي العام الذي يحيط به ، بدليل أنه ليس بإمكان فئة اجتماعية معينة أن تعيش بمعزل عن هذه العناصر الثلاثة

---

(65) منهج البحث في الأدب واللغة: 405

(66) ينظر النقد الأدبي أصوله واتجاهاته : 165

(67) مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق : ديفيد ديتش ، ترجمة د. محمد يوسف نجم ، و د, احسان عباس ، دار صادر –بيروت ، 1967، 408

، ومن ثَمَّ ليس بالإمكان أن تولد طبقة اجتماعية معينة تخالف في ثقافتها وتصوراتها المجموع الذي تنتمي إليه .

لم يكن بالإمكان مطالبة المنهج التأريخي بأن يتجاوز دراساته النقدية الموسومة بطابع البساطة ، ولم يكن في قناعة المنهج التأريخي البحث عن بدائل جديدة ، وسبب ذلك أنه كان ينطلق من دراسات تأريخية تنظر إلى المجتمع بوصفه أفراداً يشكلون نظاماً كلياً . غير أن الأمر اختلف تماماً عند انبثاقة علم الاجتماع وتطور دراساته ، فكل ((ما تعنى به العلوم الاجتماعية على وجه الدقة هو التنويعة الإنسانية التي تتألف من جميع العوالم الاجتماعية))[68]. ويمكننا القول إن هذه التنويعات كانت إحدى إفرازات النقد الماركسي وأهم المصادر التي استقى منها المنهج الاجتماعي مرتكزاته النقدية .

إذا كان المنهج التأريخي يستمد مقوماته من العناصر الثلاثة التي طرحها تين ، فان المنهج الاجتماعي قد استمد مقوماته من عنصر (أساليب الإنتاج) الذي أضافه كل من ماركس وانجلز إلى تلك العناصر الثلاثة . ونحن نعتقد أن هذا العنصر الجديد قد أسهم في حدوث نقلة نوعية في تأريخ الممارسة النقدية ذات التوجه السياقي ، ذلك أن عنصر أساليب الإنتاج هو الذي أوجد مفهوم (الطبقية) داخل المجتمع الواحد ، وحفز الوعي النقدي إلى معرفة تلك الصراعات القائمة بين الطبقات . وفي ضوء ذلك لا يمكن الحديث عن المستوى الطبقي بعيداً عن النقد الماركسي وفلسفته ، لأن الصراع الطبقي والعامل الاقتصادي قد شغل حيزاً كبيراً في تنظيرات هذا النقد[69].

نظن أن عنصر (أساليب الإنتاج) ومن ثم العامل الاقتصادي كان نقطة ارتكاز اتكأ عليها النقد الماركسي ومن ثم النقد الاجتماعي ، حتى صار من الضرورة بمكان الجزم بانفصال المنهج الاجتماعي عن المنهج التأريخي وتميّز مقولاته عند مواجهة النص الأدبي وتحليله . إذا كانت العناصر الثلاثة التي قدمها تين تدفع باتجاه تعزيز فكرة (وحدة المجتمع) فان عنصر أساليب الإنتاج يدفع باتجاه فكرة (تعددية المجتمع) وتنوع مستوياته الفئوية . أما علاقة أساليب الإنتاج بهذه التعددية فتكمن في اعتقاد الماركسيين بأن نمط إنتاج الحياة المادية ونظام توزيع الملكية العامة لا تجري على نحو عادل يضمن حقوق الجميع ، وهذا ما يخلق تنويعات طبقية على المستوى الاقتصادي فتتبعه تنويعات على المستوى الثقافي والفكري . ولما كان الأديب جزءاً من طبقة ما فان أدبه سينقل عبر تشكيلاته اللغوية والفنية الأخرى ذلك الصراعَ القائم مع الطبقات الأخرى . إن ((كل أدب هو بالضرورة أدب

---

(68) الخيال السوسيولوجي: 191
(69) ينظر مقدمة في النقد الأدبي : 406

طبقي ، لأنه انعكاس بصورة مباشرة لفكر الطبقة التي ينتمي إليها الكاتب))[70] ومعنى هذا أنه إذا كان المنهج التأريخي يستمد دلالة النصوص من مرجعية الوضع الاجتماعي العام ، فان المنهج الاجتماعي هذه الدلالة من مرجعية الوضع الطبقي .

إن الملفت في هذا الطرح الماركسي هو أن المستوى الفئوي الذي ينتمي إليه الأديب هو الذي يسهم في تحديد وعي الكاتب ويرسم له معالم وعيه بذاته وبالأشياء والأحداث من حوله . وفي ذلك يقول ماركس ((إن نمط إنتاج الحياة المادية يحدد عملية الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية بوجه عام ، فليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم ، بل إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم))[71]. لقد اتجه النقد الاجتماعي بعد إفادته من التصور الماركسي إلى الاهتمام بفكرة (الآيديولوجيا) بدلاً من اهتمامه بفكرة المجتمع ، وسبب ذلك أن الآيديولوجيا تحتضن في داخلها فكرة التنوع الشديد للمستويات الفئوية وخصوبة التوجهات الفكرية وتناقضاتها .

لقد صار الحديث عن الآيديولوجيا مرتبطاً على نحو مباشر بفكرة الطبقات وهو ارتباط حتمي إذا ما أدركنا أن مفهوم الآيديولوجيا - كما يقول ماركس - يخفي مصلحة طبقية[72]. وإذا كانت الآيديولوجيا ترتبط بنسق التفكير والرؤية ، فان هذا النسق سرعان ما يترجم إلى سلوك وموقف ونمط حياة ، لذلك يقول ايغلتن ان الآيديولوجيا : ((تشير الى الطريقة التي يعيش بها البشر أدوارهم في المجتمع الطبقي . تشير إلى القيم والأفكار والصور التي تقيدهم بوظائفهم الاجتماعية))[73]، بل بناء على التنوع الفئوي المعقد داخل المجتمع الواحد كان ألتوسير يتحاشى ((مصطلحات مثل " النظام الاجتماعي " و " المنزلة " لأنها توحي ببنية ذات مركز يحدد شكل ما يفيض عنه ، ويتحدث ، بدلاً من ذلك ، عن " التشكيل الاجتماعي " الذي يرى فيه بنية بلا مركز))[74] ذلك أن مفهوم التشكيل يتضمن دلالة تعقد الوضع الطبقي ويدخله ((في علاقات معقدة ذات تناقض داخلي قد يهيمن عليه في مرحلة ما مستوى أو آخر من المستويات))[75]. إن اعتراض ألتوسير على مصطلح " النظام الاجتماعي " واستبداله بـ " التشكيل الاجتماعي " ناجم عن تصور دقيق لطابع المجتمعات من حيث هي قائمة على جملة من الثقافات المتناقضة والصراعات المعقدة ، لذلك يقول أحد الباحثين إن ((مفهوم" التشكيلة

(70) نظريات معاصرة في تفسير الأديب : 26
(71) الماركسية والنقد الأدبي : تيري ايغلتن ، تقديم وترجمة جابر عصفور ، مجلة فصول ، مج 5، ع 3، 1985، 23
(72) الأدب والنقد وإشكالية الأدلوجة : مسلك ميمون ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع4 ، 1985، 106
(73) الماركسية والنقد الأدبي : 26
(74) النظرية الأدبية المعاصرة : رامان سلدن ، ترجمة سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 1996 ، 66
(75) المصدر نفسه : 66

الاجتماعية " أقدرعلى قراءة أوضاع المجتمع البشري وتحديد مظاهره وتأشير سماته وسياقات صيرورتـه . . . من مفهوم " التركيبة الطبقية "))[76]
لم يكن حديث الماركسيين عن الآيديولوجيا كحقل اجتماعي وثقافي فحسب ، وإنما نقلوا ذلك إلى الأدب لأنهم يؤمنون أن الأدب ((جزء من آيديولوجيا المجتمع ، أو عنصر من تلك البنية المعقدة من الإدراك الاجتماعي التي تبرر الموقف الذي تسيطر فيه طبقة اجتماعية على غيرها))[77] وإذا كان توجه الماركسيين الأوائل غارقاً في الآيديولوجيا ومتعصباً للتفسير الاقتصادي للأدب ، فان الماركسيين فيما بعد أدركوا ضرورة احتفاظ الأدب بقيمه الفنية التي تتجاوز به الآيديولوجيا [78] .

ان تأمل المسيرة النقدية المرتبطة بمفهوم (الطبقية) أو (الآيديولوجيا) وكيفية تمثّلها وانعكاسها في الأدب يحتاج إلى دراسة مستقلة . فمع كل طرح نقدي يقترب هذا الانعكاس من كونه انعكاساً مباشراً و ساذجاً إلى كونه انعكاساً يترشح عن نفَس فني وجمالي . وكان لجهود ماركس وليون تروتسكي ولوي ألتوسير ولوكاتش وغولدمان وروجيه غارودي وبيير ماشيرى وايغلتن وغيرهم الأثرُ الواضح في امتزاج التفسير الاجتماعي مع بنية الأدب . والحديث عن هذا الموضوع الواسع ليس من وكد هذه الدراسة ، فغاية هذه الدراسة هي محاولة الوقوف على أهم مرتكزات المنهج التأريخي والتعريف بأبرز مقولات المنهج الاجتماعي ، فكان من خلاصة هذا الموضوع هو أن ما يسمى بالمنهج التاريخي لم يرتق إلى مستوى المنهج النقدي ، بقدر ما كان توجهاً نحو التأريخ يفيد منه الناقد الاجتماعي قبل دخوله إلى معترك التحليل النقدي وتأويلاته .

(76) مقاربات في العقل والثقافة : محمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد ، ط1 ، 2004 ، 144
(77) المصدر نفسه : 23
(78) ينظر دليل الناقد الأدبي : 217

قائمة المصادر

- الاتجاهات الأدبية الحديثة : ر.م. ألبيريس ، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات عويدات – بيروت ، ط2 ، 1980
- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث : د. سامي عبابنة ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط2 ، 2010
- الأدب والنقد واشكالية الأدلوجة : مسلك ميمون ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع 4 ، 1985
- الأدب وخطاب النقد : د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ، ط1 ، 2004
- البنيوية التكوينية وتأريخ الأدب : لوسيان غولدمان ، ترجمة د. علي الشرع ، مجلة الثقافة الأجنبية ، ع 4 ، 1988
- الخطاب النقدي حول السياب : د. جاسم حسين سلطان الخالدي ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 ، 2007
- الخيال السوسيولوجي : سي . رايت ميلز ، ترجمة د. صالح جواد الكاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1، 1987
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث : د. أحمد درويش ، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة ، د . ت
- دليل الناقد الأدبي : د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط 2، 2000
- في النقد الأدبي : د. صلاح فضل ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، 2007
- في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات : د. فائق مصطفى و د. عبد الرضا علي ، دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل ، ط 2 ، 2000
- قراءات في الأدب والنقد : د. شجاع مسلم العاني ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، 1999
- قرن الخطاب النقدي والنظرية الأدبية : صبري حافظ ، مجلة فصول ، ع 70 ، 2007
- الماركسية والنقد الأدبي : تيري ايغلتن ، تقديم وترجمة جابر عصفور ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع 3 ، 1985
- مدخل الى مناهج النقد الأدبي : مجموعة من الكتاب : ترجمة د. رضوان ظاظا ، مراجعة د. المنصف الشنوفي ، عالم المعرفة – الكويت ، 1997
- المذاهب النقدية : د. ماهر حسن فهمي ، دار الطباعة الحديثة – مصر ، د. ت

- مفاهيم نقدية : رينيه ويليك ، ترجمة د. محمد عصفور ، عالم المعرفة – الكويت ، 1987
- المفكرة النقدية : د. بشرى موسى صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 ، 2008
- مقاربات في العقل والثقافة : محمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 ، 2004
- مقدمة في النقد الأدبي : د. علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان ، ط2 ، 1988
- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق : ديفيد ديتش ، ترجمة د. محمد يوسف نجم و د. احسان عباس ، دار صادر – بيروت ، 1967
- المناهج النقدية عرض تأريخي واعادة تقويم : د . مرشد الزبيدي ، مجلة الأقلام ، ع 1- 4 ، 1997
- منهج البحث في الأدب واللغة ضمن كتاب النقد المنهجي عند العرب : د . محمد مندور ، دار نهضة مصر ، 1969
- موسوعة النظريات الأدبية : د . نبيل راغب ، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر ، ط1 ، 2003
- نظريات معاصرة في تفسير الأدب النظرية والتطبيق : د. سمير سعد حجازي ، دار الآفاق العربية – القاهرة ، ط1 ، 2001
- نظرية الأدب : رينيه ويليك وأوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة د. حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب – الكويت ، 1972
- النظرية الأدبية المعاصرة : رامان سلدن ، ترجمة سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – لبنان ، ط 1، 1996
- نظرية التلقي أصول وتطبيقات : بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي – المغرب ، ط 1، 2001
- النقد الأدبي أصوله واتجاهاته : سيد قطب ، دار الشروق – القاهرة ، ط 8 ، 2003
- النقد الادبي في القرن العشرين : جان أيف تاديبيه ، منشورات وزارة الثقافة – دمشق ، 1993
- النقد الأدبي والعلوم الانسانية : جان لوي كابانس : ترجمة د. فهد عكام ، دار الفكر – دمشق ، ط1 ، 1982
- النقد والنقاد المعاصرون : د . محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة ، 1997